

كليوباترا ومصر القديمة

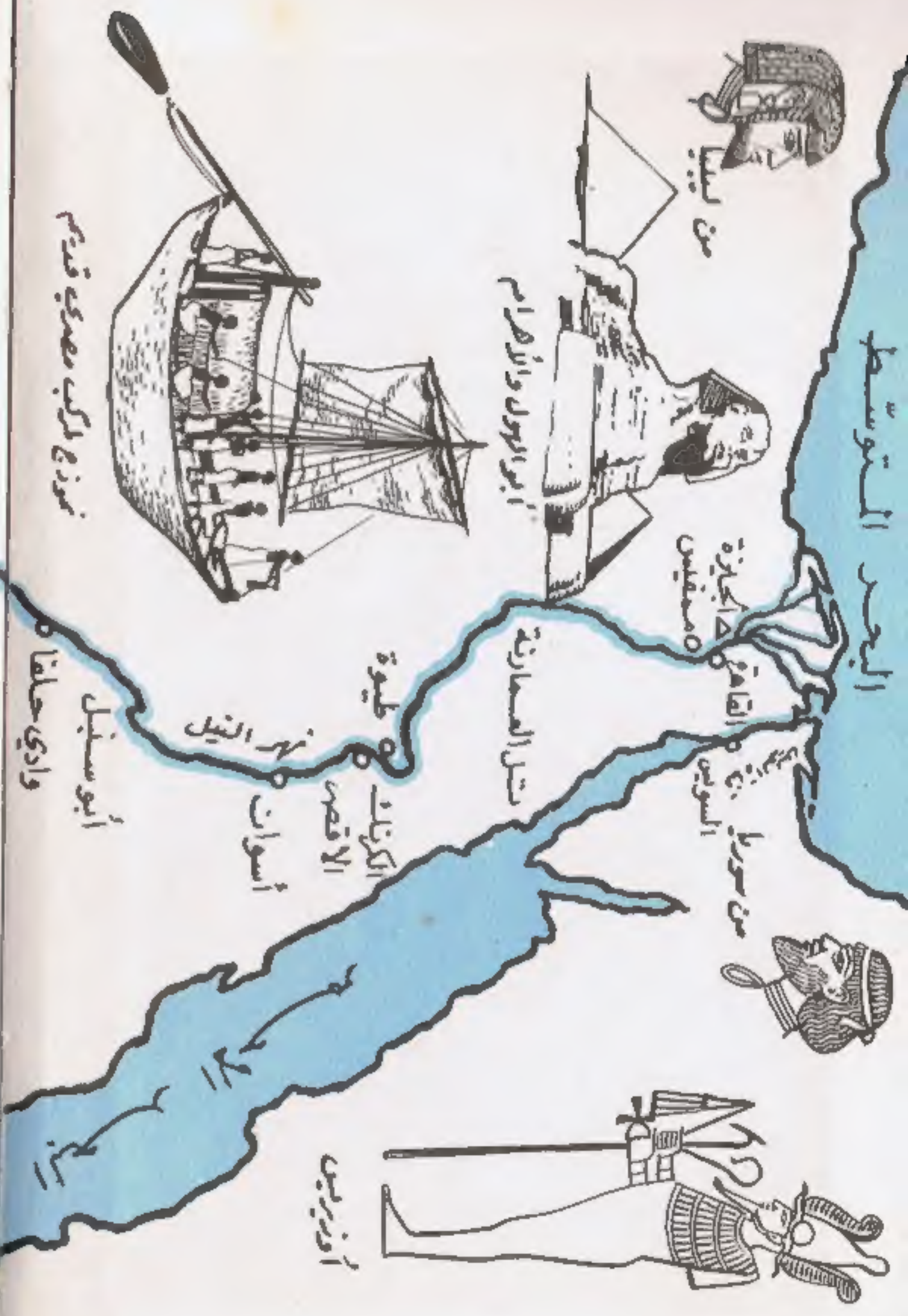


سلسلة ليديرد
”في المغامرات التاريخية“



www.arabcomics.net





هَذَا الْكِتَابُ يُعْطِينَا لَمَحَّةً عَنْ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ وَحَضَارَتِهَا الْعَرِيقَةِ
حَتَّى عَهْدِ كَلْيُوبَاتَرَا .
وَمَنْ مِنَّا لَمْ يَسْمَعْ بِهَذَا الْأَسْمِ الشَّهِيرِ ؟

كَلْيُوبَاتَرَا وَمِصْرُ الْقَدِيمَةِ

مُتَالِف : ل. دُوغَارْد پِيْتَش
أَعَادَ حَكَائَتَهَا : رَجَا حُورَاوِي
وَضَعَ الرُّسُومَ : جُون كِنِي



الناشرون :
مَكْتَبَةُ لِبْنَانِ
بَيْرُوت
لِيْدِيَرْد بُولُك لِيْمَتْد
لَا فَبُورُو
لُونْعِمَات
هَارَلُو

حُقوق الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ
طُبِعَ فِي انْكَلَتْرَا ©
الطَّبْعَةُ الْأُولَى ١٩٧٤

كَلْبُوبَاتِرا وَمِصْرُ الْقَدِيمَةُ

مُنْذُ خَمْسَةِ آلَافِ سَنَةٍ كَانَ سُكَّانُ أوروْبَا وانْكِلتِرا يَعْشُونَ فِي أَوْضَاعٍ لَا تَخْتَلِفُ عَنْ أَوْضَاعِ إِنْسَانِ الْعَصْرِ الْحَجَرِيِّ ، الَّذِي تَقْرَأُ عَنْهُ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ الْقَدِيمِ . كَانُوا يَعْشُونَ فِي الْكُهُوفِ وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَصْطَادُونَهَا لِطَعَامِهِمْ بِأَحْجَارِ الصَّوَانِ الْمُحَدَّدَةِ الْأَطْرَافِ .

فِي نَفْسِ هَذَا الْعَصْرِ ، وَفِي مِصْرَ عَلَى ضِفافِ النَّيْلِ ، كَانَ أَنَاسٌ يَسْكُنُونَ مَدَنًا عَظِيمَةً ، وَيَتَنَوَّنُ هَيَاكِلَ فَخْمَةٍ ، وَيَلْبَسُونَ الْحَرَائِرَ الثَّمِينَةَ ، وَيَتَقَلَّدُونَ الْحُلَى وَالْجَوَاهِرَ . كَانَ التُّجَّارُ فِي مَخَارِجِهِمْ ، وَالْجُنْدُ عَلَى صَهَوَاتِ خَيُْولِهِمْ ، وَالْمَحَامُونَ فِي مَحَاكِمِ الْعَدْلِ .

هَكَذَا كَانَ الْمِصْرِيُّونَ . وَنَحْنُ نَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْهُمْ ، لِأَنَّ الْأَثَرِيَّينَ وَجَدُوا فِي مِلْفَاتِ الْبَرْدِيِّ وَعَلَى جُدُرَانِ الْمَقَابِرِ صُورًا وَكِتَابَاتٍ تَصِفُ حَيَاتَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ .

كَانَتْ لِلْمِصْرِيِّينَ طَرِيقَةٌ فَدَّةٌ فِي الْكِتَابَةِ ، تُدْعَى الْهِيرُوغْلِيفِيَّةَ ، وَهِيَ تَعْتَمِدُ عَلَى الرَّسْمِ . وَقَدْ بَقِيَتْ هَذِهِ الْكِتَابَةُ لَعَزَا مَدَّةَ طَوِيلَةٍ بِحَبِثٍ لَمْ يَتِمَكَّنْ عُلَمَاءُ الْأَثَارِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ فِكِّ رُمُوزِهَا . وَذَاتَ يَوْمٍ عَمَّرَ عَالِمٌ فَرَنْسِيٌّ عَلَى حَجَرٍ نَقِشَتْ عَلَيْهِ نَفْسُ الْكِتَابَةِ بِاللُّغَتَيْنِ الْيُونَانِيَّةِ وَالْهِيرُوغْلِيفِيَّةِ . وَكَانَ هَذَا الْعَالِمُ يَعْرِفُ اللُّغَةَ الْيُونَانِيَّةَ ، فَتِمَكَّنَ مِنْ فِكِّ رُمُوزِ كِتَابَةِ الصُّورِ . هَذَا الْحَجَرُ يُدْعَى حَجَرِ رَشِيدَ نِسْبَةً إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَجِدَ فِيهِ . وَكَانَ هَذَا الْاِكْتِشَافُ فَاتِحَةً قُدْرَتِنَا عَلَى قِرَاءَةِ مَا دَوَّنَهُ الْمِصْرِيُّونَ الْقَدَمَاءُ .



كَانَ الْكَهَنَةُ يَتَوَلَّوْنَ الْكِتَابَةَ . وَلَمَّا كَانَ الْوَرَقُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ آنَذَاكَ .
فَقَدْ اسْتَعْمَلُوا سَاقَ النَّبَاتِ الْمُسَمَّى بِالْبَرْدِيِّ وَمِنْهُ اسْتَقْتُ كَلِمَةً وَرَقٍ
بِالْإِنْكِلِيزِيَّةِ . كَانُوا يَقْطَعُونَ سَاقَ النَّبَاتِ هَذَا قِدْدًا رَفِيعَةً مُسْتَطِيلَةً تُوَضَعُ
جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ طَوِيلًا ، ثُمَّ تُوَضَعُ فَوْقَهَا قِدْدٌ أُخَرَى عَرْضًا ، وَبِحَيْكُونِهَا
كَمَا تُحَاكُ الْحَصِيرُ ، ثُمَّ يَنْقَعُونَهَا فِي الْمَاءِ إِلَى أَنْ تَتَمَاسِكَ أَجْزَاؤُهَا . ثُمَّ
يَدُقُّونَهَا بِمِطْرَقَةٍ عَلَى حَجَرٍ أَمْلَسَ . وَبَعْدَ أَنْ تَنْشَفَ بِالشَّمْسِ نُدْلُكَ بِقِطْعَةٍ
عَاجٍ دَلَكًا خَفِيفًا ، إِلَى أَنْ تُصْبِحَ نَاعِمَةً وَجَاهِزَةً لِلْكِتَابَةِ .

وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ صَفَاحُ الْبَرْدِيِّ يُلصَقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لِيُؤَلَّفَ لِقَاتُ
طَوِيلَةٍ عُرِفَتْ بِلِقَاتِ الْبَرْدِيِّ . وَلَمْ تَكُنْ تُجْمَعُ وَتُجَلَّدُ كَتَبًا كَمَا هِيَ
الْحَالُ الْآنَ ، بَلْ كَانَتْ تَلَفُّ مِنْ طَرَفَيْهَا عَلَى أَسْطُوَانَتَيْنِ مِنَ الْخَشَبِ .
وَعِنْدَ قِرَاءَتِهَا تُفْرَدُ عَنْ أَسْطُوَانَةٍ لِتَلَفَّ عَلَى أُخْرَى فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ .
وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهَا كَانَتْ طَرِيقَةً أَضْعَفَ كَثِيرًا مِنْ تَقْلِيلِ صَفَحَاتِ
كِتَابٍ .

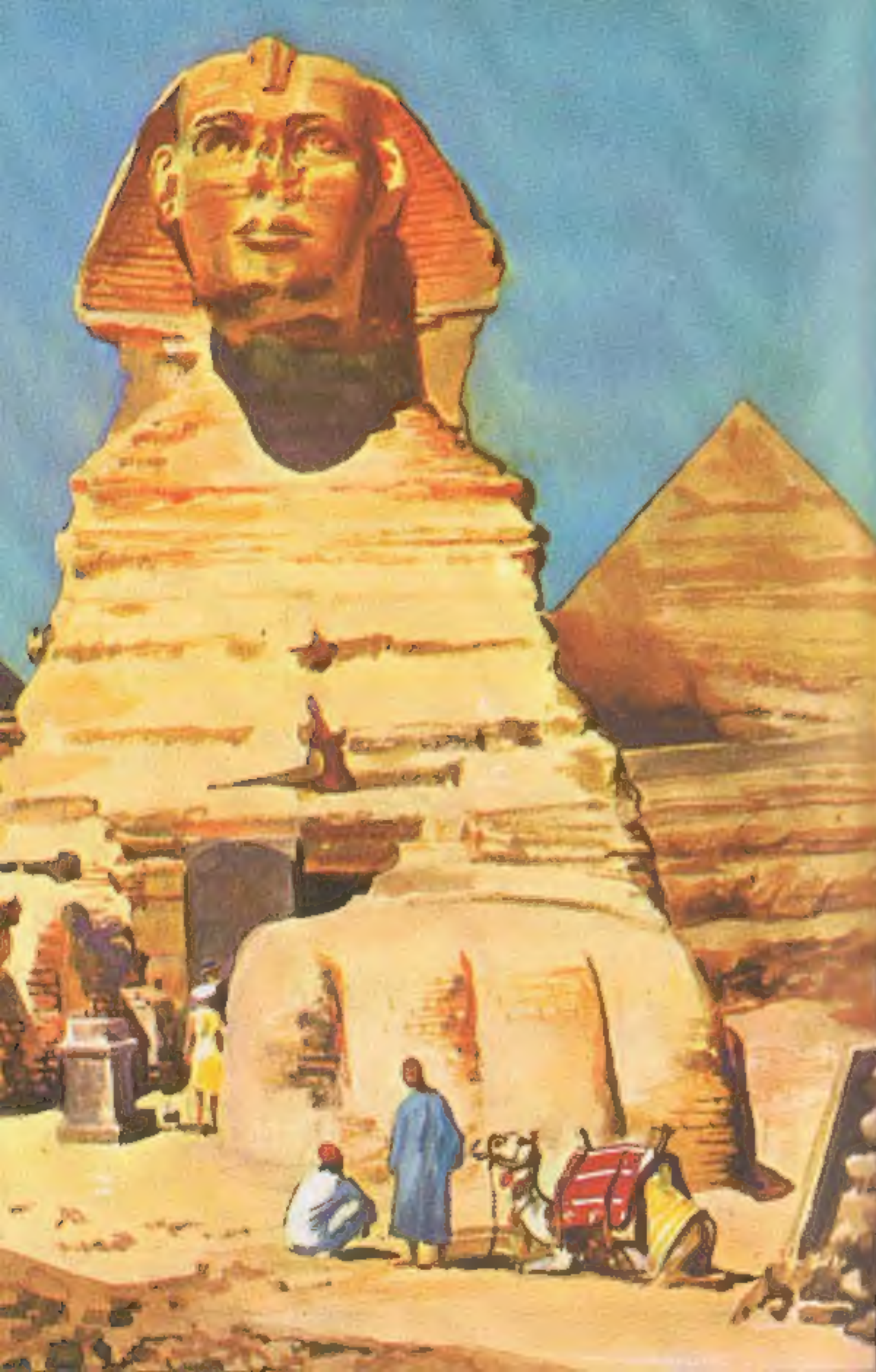
كَانَ الْكَهَنَةُ يَسْتَعْمِلُونَ حَبْرًا مَلُونًا وَأَقْلَامًا مَصْنُوعَةً مِنَ الْعُشْبِ أَوْ
الْقَشْرِ . وَتَدُلُّ بَعْضُ مِلَقَاتِ الْبَرْدِيِّ الَّتِي غَيْرَ عَلَيْهَا ، عَلَى ذَوْقِ قَنِيٍّ فِي
الرَّسْمِ وَالتَّلْوِينِ .

كَانَ الْمِصْرِيُّونَ بَنَاتَيْنِ رَائِعَيْنِ . فَقَبِلَ أَنْ يَعْرِفَ الْأُورُوْيُونُ الْبِنَاءَ
بِالْحَجَرِ . أَقَامَ الْمِصْرِيُّونَ هَيْكِلَ عَظِيمَةً تَكْرِيماً لِإِلَهُهِمُ الْمُتَعَدِّدَةِ .
وَلَا تَزَالُ بَعْضُ هَذِهِ الْهَيْكِلِ قَائِمَةً فِي مِصْرَ كَمَا تَرَاهَا الْآنَ فِي الْكَرْنِكِ .
حَيْثُ تَبْدُو قَاعَةُ الْأَعْمِدَةِ الْكَثِيرَى الَّتِي شِيدَتْ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ .

وَقَدْ نَحَتَ الْمِصْرِيُّونَ تِمَائِلَ لِحُكَّامِهِمُ الْفَرَاعِنَةِ . وَقَدْ وَجِدَ قُرْبَ
مَدِينَةِ طَبُوعَةٍ تِمَثَالَانِ كَبِيرَانِ لِفِرْعَوْنَ أَسْمُهُ أَمِنْحُونِب . وَفِي الْعُصُورِ
الْقَدِيمَةِ . عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ . كَانَتْ تُسْمَعُ أَلْحَانُ مُوسِيقِيَّةٍ مَصْدَرُهَا أَحَدُ
هَذَيْنِ التِّمَثَالَيْنِ . فَكَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ أَنَّ الْمَوْسِيقَى هِيَ صَوْتُ التِّمَثَالِ
تَحِيَّةً لِلشَّمْسِ .

وَبَرَى الْمَرْءُ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ مِصْرَ تِمَائِلَ وَرُسُومًا عَلَى جُدُرَانِ الْهَيْكِلِ
تُمَثِّلُ مُخْتَلِفَ الْإِلَهِةِ ، الَّتِي كَانَتْ بَعْضُهَا غَرِيبًا جِدًّا ، وَأَحَدُهَا لَهُ جِسْمُ رَجُلٍ
وَرَأْسُ صَقْرٍ . وَكَانَ يُظَنُّ أَنَّ ابْنَ الْإِلَهِ أَوْزِيرِيسَ . وَالْإِلَهِةَ إيزيسَ .

كَانَ أَوْزِيرِيسُ إِلَهَ الشَّمْسِ . وَرئيسَ جَمِيعِ الْإِلَهِةِ . وَقَدْ رَسَدَ
الْمِصْرِيُّونَ عَلَى ظَهْرِ سَفِينَةٍ تَسِيرُ عَبْرَ الْقَضَاءِ . كُلَّ يَوْمٍ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى
الْغَرْبِ : نَاشِرَةً النُّورَ وَالْحَيَاةَ لِأَهْلِ النَّيْلِ .



إنَّ الأهرامَ وأبا الهولَ أشهرُ آثارِ مِصرَ القَدِيمَةِ ، وَهِيَ قائِمةٌ في الجِيزةِ قُربَ القَاهِرَةِ .

والهرمُ الكبيرُ هو بناءٌ راسِخٌ ، مُكوَّنٌ مِن كُتْلِ حَجَرِيَّةٍ ضَخْمَةٍ ، تَغطِّي مِساحَتُهُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَدَانًا ، وَقَاعِدَتُهُ مُرَبَّعَةٌ ، وَقَدْ ضُبِطَتْ جَوَانِبُهُ الأَرْبَعَةُ بِدِقَّةٍ ، بِحَيْثُ لَا يَخْتَلِفُ طَوْلُ أَحَدِهَا عَنِ الأُخَرِ بِأَكْثَرِ مِن سَنْتِمَتَيْنِ ، تَلْتَمِ كُلُّهَا عِنْدَ نُقْطَةٍ تُشَكِّلُ رَأْسَ الهرمِ .

لَقَدْ بَنَى هَذَا الهرمَ فِرْعَوْنُ اسْمُهُ خُوفُو . وَقَدْ حَكَمَ مِصرَ مُنْذُ خَمْسَةِ آلافِ سَنَةٍ . وَفِي مَكَانٍ بَعِيدٍ دَاخِلِ الهرمِ ، تَوُجَدُ العُرْقَةُ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا ، وَالَّتِي يُوَصَّلُ إِلَيْهَا بِوَاسِطَةِ مَمَرٍ طَوِيلٍ ضَبَقَ . لَقَدْ اسْتَعْرَقَ بِنَاءُ هَذَا الهرمِ عِشْرِينَ سَنَةً ، اسْتُخْدِمَ خِلَالَهَا أَلُوفُ الرِّجَالِ ، الَّذِينَ كَانُوا يَقْتُلِعُونَ الحِجَارَةَ مِنْ مَقَالِعِهَا ، وَيَجْرُونَهَا عَلَى عَرَبَاتٍ لِبِنَاءِ هَذَا القَبْرِ العَظِيمِ .

وَهُنَالِكَ أَبُو الهولِ ، وَهُوَ لَا يَقِلُّ شُهْرَةً عَنِ الهرمِ الكَبِيرِ . وَلَهُ جِسْمٌ أُسْدٍ وَرَأْسُ إِنْسَانٍ ، وَهُوَ قائِمٌ بِالقُرْبِ مِنَ الهرمِ الكَبِيرِ ، وَطَوْلُهُ حَوالَى ٥٧ مِترًا وَهُوَ مَنحُوتٌ مِنْ صَخَرٍ قَاسٍ . وَيُرَجَّحُ أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا فِي قَاعِدَتِهِ حِينَما بُنِيَ الهرمُ الكَبِيرُ . عَلَى أَنَّ بَعْضَ عُلَمَاءِ الأَثَارِ المِصْرِيَّةِ يَعتقدُونَ أَنَّهُ نُحِتَ فِي ذَاتِ الوَقْتِ الَّذِي بُنِيَ فِيهِ الهرمُ . وَقَدْ بَلَغَ مِنْ ضَخَامَتِهِ . أَنَّ هَيْكَلًا بُنِيَ فِي الفُسْحَةِ الَّتِي تَفْصِلُ بَيْنَ كَفَّتَيْهِ .

لَقَدْ ذَكَّرْنَا أَنَّ الْأَهْرَامَ بُنِيَتْ بِعِنَايَةِ فَائِقَةٍ . فَالْبَنَّاوُونَ الْمَهْرَةَ لَمْ يَكُونُوا دَقِيقِينَ جِدًّا فِي أَخْذِ الْقِيَاسَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَجْمِ الْحِجَارَةِ فَحَسَبَ . بَلْ كَانُوا دَقِيقِينَ أَيْضًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَنْصِلُ بِزَاوِيَةِ أَنْجِدَارِ جَوَانِبِ الْهَرَمِ . وَفِي الرَّسْمِ الْمُقَابِلِ نَرَى أَحَدَ هَؤُلَاءِ الْبَنَائِينَ يَقِيسُ كِتْلَةَ حَجَرِيَّةٍ بِخَيْطٍ .

يَقَعُ مَقْلَعُ تِلْكَ الْكِتْلِ الْحَجَرِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ النَّيْلِ . وَقَدْ بُدِلَ جُهْدٌ شاقٌّ جِدًّا لِنَقْلِهَا . وَبَرَجَّحَ أَنَّ الْعَمَالَ اسْتَعْمَلُوا رَافِعَاتٍ طَوِيلَةَ مِنْ خَشَبٍ صُلْبٍ . لِيَرْفَعُوا تِلْكَ الْكِتْلَ . وَيَضَعُوهَا تَحْتَهَا بِكَرَاتٍ لِيَسْهَلُ جَرُّهَا . كَانَ مِثَالُ الرِّجَالِ يَعْمَلُونَ فِي جَرِّ هَذِهِ الْكِتْلِ بَعْدَ رَبْطِهَا بِحَبَلٍ طَوِيلَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنْ جِلْدٍ مَقْتُولٍ . وَكَانَتْ عَمَلِيَّةُ النُّقْلِ هَذِهِ بَطِئَةً جِدًّا .

لَقَدْ وَجِدْتُ فِي قَبْرِ حَاكِمِ إِقْلِيمِي اسْمُهُ زُوتُ حُوتَبُ صُورَةً تَسْتَأَلُ كَبِيرٌ مَقْتُولٍ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ . وَقَدْ وَقَفَ عَلَى التِّمَثَالِ رَجُلٌ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ إِشَارَةً لِلْعَمَالِ كَيْ يَعْملُوا بِأَنْسِجَامٍ وَيَجْرُوا التِّمَثَالِ دَفْعَةً وَاحِدَةً .

كَانَتْ الْحِجَارَةُ كُلُّهَا تُشَكَّلُ بِأَزَامِيلٍ نُحَاسِيَّةٍ ، اسْتُبْدِلَتْ بِهَا فِيمَا بَعْدَ آلَاتُ بَرُونِزِيَّةٌ وَحَدِيدِيَّةٌ . لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ رَافِعَاتٌ وَمُحَرِّكَاتٌ كَبِيرَةٌ كَالَّتِي عِنْدَنَا الْيَوْمَ . وَرَغْمَ هَذَا فَإِنَّ بِنَاءَهُمْ بَوَسَائِلِهِمُ الْبَسِيطَةَ هَرَمًا بِحَجْمِ هَرَمِ خُوفُو هُوَ عَمَلٌ كَبِيرٌ خَالِدٌ .

كَانَ حُكَّامُ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ يَنْتَمُونَ إِلَى عِدَّةِ سُلَالَاتٍ . بَعْضُ هَذِهِ
السُّلَالَاتِ ضَمَّ حُكَّامًا عَدِيدِينَ يَنْحَدِرُونَ مِنَ الْأُسْرَةِ نَفْسِهَا إِذَا كَانَ يَحْدُثُ
أَنْ يَمُوتَ الْفِرْعَوْنُ دُونَ وَلَدٍ فَيُخَلِّفُهُ حَاكِمٌ مِنَ الْأُسْرَةِ وَيُؤَسِّسُ سُلَالَةً
حَاكِمَةً جَدِيدَةً . وَأَخْيَانًا كَانَ يَتَوَلَّى الْحُكْمَ حَاكِمٌ غَارٍ مِنْ جِنْسٍ آخَرَ
فَيُؤَسِّسُ سُلَالَةً حَاكِمَةً جَدِيدَةً وَأُسْرَةً حَاكِمَةً جَدِيدَةً .

كَانَتِ الْأُسْرَتَانِ الثَّامِنَةُ عَشْرَةَ ، وَالتَّاسِعَةُ عَشْرَةَ أَكْثَرُ هَذِهِ الْأُسْرِ
إِطْلَاقًا ، وَقَدْ أَمْتَدَّ حُكْمُ فِرَاعِيَتَيْهِمَا نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً (١٦٥٠ - ١٢٨٠ ق.م)
- وَهِيَ قَدْرُ الْفَتْرَةِ الْمُمْتَدَّةِ مِنْ عَصْرِ الْمَلِكَةِ الْبِصَابَاتِ الْأُولَى إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا - وَقَدْ عُرِفَتْ بِالْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْجَدِيدَةِ . وَكَانَ حُكْمُ أَوَّلِ فِرْعَوْنٍ مِنَ
الْأُسْرَةِ الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ بِدَايَةِ عَصْرِ جَدِيدٍ لِمِصْرَ ، إِذْ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي طَرَدَ
الْأَجَانِبَ الَّذِينَ حَكَمُوا الْبِلَادَ مَدَّةَ أَرْبَعِينَ وَخَمْسِينَ سَنَةً .

كَانَ نَحْوُ ثَمَسِ الثَّلَاثِ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْفِرَاعِيَةِ ، وَقَدْ بَسَطَ سُلْطَانُهُ
عَلَى الْبُلْدَانِ الْمُجَاوِرَةِ لِمِصْرَ ، فَأَمْتَدَّ مِنَ الصَّحَرَاءِ اللَّيْسِيَّةِ غَرْبًا إِلَى نَهْرِ
دِجْلَةَ شَرْقًا . وَكَثِيرًا مَا نُشَاهِدُ عَلَى الْجُدُرَانِ صُورًا زَيْتِيَّةَ تُمَثِّلُ نَحْوُ ثَمَسِ
الثَّلَاثِ فِي مَرْكَبَتِهِ ، سَاحِقًا أَعْدَاءَهُ وَمُتَّصِرًا عَلَيْهِمْ . وَبِأَمْرِ مِنْهُ ، وَتَخْلِيدًا
لَاَنْتِصَارَاتِهِ . نَحَتَّ الْمِسْلَةَ الصَّوَانِيَّةَ الْمُسَمَّاةَ - خَطًّا - بِمِسْلَةِ كَلْبِو بَاتِرَا .
وَهِيَ قَائِمَةٌ حَالِيًا فِي أَحَدِ مَبَادِينِ لَنْدُنَ .

لَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ فِرَاعِيَةِ هَاتَيْنِ الْأُسْرَتَيْنِ جُنُودًا عَظَمَاءَ وَقَادَةً
فَاتِحِينَ . وَيُظْهِرُ الرَّسْمُ الْمُقَابِلُ مَشْهَدًا لِأَحَدِ أَوْلِيَّكَ الْقَادَةِ عَائِدًا إِلَى مِصْرَ
بَعْدَ حَمَلَةٍ مُظَفَّرَةٍ .

وَعَلَى جُدْرَانِ قُبُورِ أَوْلِيَّكَ الْفِرَاعِيَةِ نَرَى صُورًا لِتِلْكَ الْإِتِّصَارَاتِ ،
حَيْثُ نَرَى مَرْكَبَةَ الظَّافِرِ وَخَلْفَهَا مِثَالَ الْأُسْرَى الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ
مَصِيرَهُمْ : فَمَاذَا يُلَاقُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُبَاعُونَ كَالْعَبِيدِ . وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ
كَثِيرِينَ مِنْهُمْ أُجْبِرُوا عَلَى الْعَمَلِ مَدَى الْحَيَاةِ فِي بِنَاءِ هَيَاكِلَ وَمَدَافِنَ
لِأَسْيَادِهِمْ .

كَانَ فِي الْأُسْرَةِ الْتَّاسِعَةِ عَشْرَةَ فِرْعَوْنَانِ عَظِيمَانِ . أَحَدُهُمَا سَيِّدِي
الْأَوَّلُ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى قَاعَةَ الْعَوَامِيدِ فِي الْكَرْتِكِ ، وَنَحَتَ أَبْدَعَ الْمَدَافِنَ
فِي الصُّخُورِ فِي الْمَكَانِ الْمَعْرُوفِ بِوَادِي الْقُبُورِ قُرْبَ طَبُورَةِ .

أَمَّا الْفِرْعَوْنُ الْعَظِيمُ الْآخِرُ فَهُوَ رَمْسِيْسُ الثَّانِي ، الَّذِي حَكَّمَ الْبِلَادَ
مُدَّةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . وَمِنْ جُمْلَةِ مَسَائِرِهِ الْبَاهِرَةِ بِنَاؤُهُ قَنَاةَ مِنَ النَّيْلِ إِلَى
الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ . وَهُوَ نَفْسُهُ الَّذِي اسْتَقْبَلَ يُوسُفَ وَكَرَّمَهُ . وَعِنْدَمَا تَوَلَّى
أَبْنُهُ مَبْتَقًا الْحُكْمَ ، أَمَرَ بِطَرْدِ الْيَهُودِ مِنْ مِصْرَ .

أَصْغَتْ مِصْرُ . تَحْتَ حُكْمِ رَمْسِيسِ الثَّانِي . دَوْلُهُ عَظِيمَةٌ وَهَيَّةُ
فَكَانَتْ تَرُدُّ إِلَيْهَا مَتَوَحَّاتٌ مِنْ أَفْرِيْقِيَا . وَمِنْ أَقْصَى الْمَنَدَانِ عَلَى سَهْلِ
الْمَتَوَسِّطِ . وَنَحْشٌ تَرَى فِي الرُّسُومِ عَلَى خُدْرَانِ الْمَقَابِرِ . حَيَوَانَاتٍ عَرَبِيَّةً
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْهَيْلَةِ ، وَالزَّرَافَاتِ ، وَالْفُهُودِ ، وَالْقُرُودِ . وَقَدْ جِيءَ بِهَا جَمِيعًا
جَزِيَّةً لِمِصْرَ عَوْنِ الْعَظِيمِ

فَمِنْ أَهْلِهَا جَاءَتْ الْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ بَرًّا ، وَمِنْ بِلَادِ فَارَسٍ كَانَتْ تَرُدُّ
الْبَهَارَاتِ . وَاللُّبَانَ وَنَبَاتَ الْمَرْ . وَزَيْتًا حَاءَتْهَا أَنْوَاعُ الْحَرِيرِ بِالطَّرِيقِ
الطَّوِيلَةِ مِنَ الصَّيْلِ . وَأَنْصَبَ الذَّهَبُ وَالْبَصَّةُ عَلَى بُيُوتِ الْمَالِ فِي مِصْرَ .
وَمِنْ يُشَاهِدُ التَّحَفَ الثَّمِينَةَ ، وَالْمَخَوَّهَاتِ الْمُرْصَعَةَ الَّتِي كَانَتْ تُوضَعُ
فِي مَقَابِرِ الْفَرَاعَةِ ، يَعْلَمُ أَنَّ حِرَفِيَّيَ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ الْمَهَرَةَ قَدْ آخِذُوا مَرْكَزًا
يَحْسُدُهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى حِرَفِيُّو الْعَصْرِ الْحَدِيثِ .

وَعِنْدَ وَصُولِ الْجَزِيَّةِ إِلَى مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الْمَعْلُومَةِ . كَانَتْ الْعَادَةُ
تَقْضِي بَأَنَ تَسِيرَ الْمَوَاقِبُ فِي الشُّوَارِعِ ، حَامِلَةً بِلَكَ الْهَدَايَا لِكَيْ يَرَاهَا
الشَّعْبُ . فَيَعْرِفَ عَظَمَةَ فِرْعَوْنَ الَّذِي يَحْكُمُهُ وَقُوَّتُهُ .

كَانَ الْفَلَاحُونَ فِي مِصْرَ كَالْعَبِيدِ مَعْلًا . وَعِنْدَ شِرَاءِ أَرْضٍ أَوْ بَيْعِهَا
يُشْرَى الْفَلَاحُونَ مَعَهَا أَوْ يُبَاعُونَ . وَلَمَّا لَمْ تَوْجَدْ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ نَقُودٌ ، فَإِنَّ
الْفَلَاحِينَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا . وَمَا كَانُوا يَبَالُونَ إِلَّا قَدْرَ مَا يَكْفِيهِمْ
لِلْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ .



هناك فرق شاسع بين الملابس الفاخرة والأزياء المطرزة بالجواهر
النادرة التي كان يرتديها المراكمة والملكات . وبين الأسماك التي كان
يتدثر بها الملاحون فالصور رتبه على الجدران تزيننا بدقة كيف كانوا
يلبسون بل إن كثيرا من الأشياء لا تزال بحالة سليمة وذلك بفضل
الهواء الجاف في مصر العليا ويسكن لها وتفحصها ومشاهدة الحل
ذاتها ، وأحيانا رؤية الثياب التي كانت تلبس في مصر القديمة

لم يكونوا يرتدون ثياب كثيرة ، لأن مصر بلاد حارة جدا . وفي
كثير من الأحيان يرى فرعون نفسه مرسوما وهو لا يرتدي غير مرقع
صغير ولكنه كان يستعصم عن الملابس بالجواهر الثمينة والمفرد
والأساور المطلية بالمينا

ومن الطرائف ما كان يعرف بالتاج المزدوج الذي يلبسه فرعون
في الاحتفالات الرسمية وهي العصور العارة كست مصر غنت ومصر
السفلى تشكلاان بلدين متصليين وكان يحكم كل منهما تاج خاص
للاحتفالات الرسمية . وعندما اتحد البلدان ، منذ آلاف السنين . أصبح
التاجان تاجا واحدا .

كان تاج مصر العليا أبيض مستطيلا ينتهي بعقدة صلبة اسكل
وكان تاج مصر السفلى أحمر وداسكل عرب والرسمة انقاس يعطسا فكرة
عن شكل التاج المزدوج .

كَانَتْ مِصْرُ بِلَادًا غَنِيَّةً . لِذَا كَانَ فِيهَا أَثْرِيَاءُ كَثِيرُونَ . وَلَمَّا كَانَتْ
سَيِّدَاتُ الْبِلَاطِ وَرَوَّجَاتُ الْأَثْرِيَاءِ لَا يَقْمَنَ بِعَمَلٍ . هَذَا كُنَّ يَقْصِينَ وَقْتًا
طَوِيلًا فِي تَجْمِيلِ أَنْفُسِهِنَّ .

لَقَدْ تَعَيَّرَتِ الْأَثْرِيَاءُ كَثِيرًا عَلَى مَذَى تَارِيحِ مِصْرِ الْقَدِيمَةِ الطَّوِيلِ .
وَيَبْذُونَ وَاصِحًا مِنْ أَدَوَاتِ الرِّبَاةِ الْحَاصَةِ بِالنِّسَاءِ . وَالَّتِي لَا تَرَالُ مَحْفُوطَةً .
أَنَّ النِّسَاءَ الْمِصْرِيَّاتِ لَمْ يَكُنَّ يَقْصُصُهُنَّ شَيْءٌ مِمَّا لَهُ عِلَاقَةٌ بِتَجْمِيلِ الْوُجْهِ .
فَقَوَارِيرُ الْحُمْرَةِ ، الَّتِي تُوجَدُ فِيهَا الْحُمْرَةُ أَحْيَانًا ، وَأَقْلَامُ تَخْطِيطِ الْحَوَاحِ
وَرُمُوشُ الْعَيْنِ ، وَعُكْلُبُ الْمَسَاحِيقِ وَآيَاتُ الْعُطُورِ ، وَالْمَرَايَا الْمُعْدِيَّةُ
الْمُزْخَرَفَةُ ، وَأَمْشَاطُ الشَّعْرِ الَّتِي كُنَّ يَسْتَعْمِلُهَا يُعْمَلُ مُشَاهَدَتُهَا فِي الْمُتَحَفِ
الْبَرِيطَانِيِّ فِي لَنْدُنْ وَفِي الْمُتَحَفِ الْمِصْرِيِّ فِي الْقَاهِرَةِ .

إِنَّ النِّسَاءَ الْيَوْمَ يَقْصِينَ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَضْفِيفِ شَعْرِهِنَّ وَتَرْبِيَةِ
وَهَكَذَا فَعَلَّتِ الْمَرْأَةُ الْمِصْرِيَّةُ قَدِيمًا . وَلَكِنْ عَوَاضًا عَنْ تَضْفِيفِ شَعْرِهَا
بِيَدِهَا ، كَانَتْ تَعْتَمِدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ إِلَى قَصِّهِ وَتَلْبِسُ عَلَى رَأْسِهَا
شَعْرًا مُسْتَعَارًا أَيْقًا . وَكَانَ هَذَا الشَّعْرُ الْمُسْتَعَارُ يَتَعَيَّرُ شَكْلًا وَهَيْئَةً مِنْ رَمَنٍ
إِلَى آخَرَ .

يُرِيْنَا الرَّسْمُ الْمُقَابِلُ سَيِّدَةً مِصْرِيَّةً تُحْمِلُ عَيْنِيهَا . وَحَوْلَهَا حَارِيتَانِ
تَقُومَانِ عَلَى خَدْمَتِهَا وَهِيَ عَلَى الْأَرَحِحِ تَحْطُّ لَوْنًا أَحْضَرَ تَحْتَ عَيْنِيهَا .
وَتَلَوِّنُ جَفَنِيهَا وَحَاجِبِيهَا بِلَوْنٍ أَسْوَدَ لِتُطَهِّرَ عَيْنِيهَا أَكْثَرَ وَأَشَدَّ لَمَعَانًا وَبَرَى
عَلَى الْمَائِدَةِ أَمَامَهَا قُمْقُمًا يَحْتَوِي عَصْرًا دَا رَائِحَةَ زَكَاةٍ مِنَ اللَّسَانِ وَالْمَرْ .





إن إقامة وليمة فاخرة ، في عهد رمسيس الثاني . أي منذ ثلاثة آلاف
سنة كانت مناسبة ممتعة . فالمصريون كانوا متمدين جداً . وما رسومهم
التي نشاهدُها على الجدران سوى دليل على آدابهم وثقافتهم .

كان المصريون في العصور العارة يقدون على الأرض لتساؤل
طعامهم ولكن إبان الأسرة التاسعة عشرة (حوالي ١٦٥٠ - ١٤٠٠ ق م)
أصبحوا يجلسون على كرسي ويرة . وأمامهم موائد صغيرة مزخرفة بزهر
البلوفر . وكان الضيوف يُرتون رؤوسهم بالأزهار أيضاً .

ولدينا وصف لوليمة احتوت عشرة أنواع مختلفة من الخمر .
وخمسة أنواع من الطيور . وستة عشر نوعاً من الحنظل والكفت . وكانت
الهاكهة متوفرة . وكان كل شيء يُقدَّم على أطباق من فضة . أما لارعة
الصغيرة فقد صنعت على أشكال عديدة مزخرفة .

وكان الموسيقيون ، تكريماً للضيوف ، يعزفون في أثناء الوليمة على
آلات موسيقية كالناي ، والمزمار ، والبوق ، والقيثارة . ولا يزال كثير
من هذه الآلات محفوظة في المتاحف وهي صالحة للعب . ويمكننا
الاستماع إلى الموسيقى التي أسمع إليها المصريون منذ آلاف السنين . وكان
الموسيقيون . وأحياناً ضيوفهم ، يصغون على رؤوسهم أكواراً من سمع
دي رابحة زكية بدون قبطيت شعورهم

لَقَدْ وَجَدَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقُبُورِ نَعَادِخَ خَشَبِيَّةٍ أَوْ فَخَّارِيَّةٍ لِلثَّبُوتِ
الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا الْمِصْرِيُّونَ . وَهَذِهِ تُعْطِيَانَا فِكْرَةً وَاصِحَةً عَنْ مَسَاكِينِهِمْ
وَأَسَالِيبِ حَيَاتِهِمْ .

كَانَتِ الثَّبُوتُ عَالِيًا ذَاتَ طَمَقَتَيْنِ . وَدَ شُرَفَاتُ دَوَاتٍ مَصَلَاتٍ مُشْرِقَةٍ
الْأَلْوَانِ . وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّوَافِدِ الْوَاخِ زُجَاجِيَّةٌ ، لِأَنَّ الطَّقْسَ فِي مِصْرَ الْعَالِيَا
كَانَ حَارًّا حَدًّا . وَكَانَ مِنَ الْمَرْغُوبِ فِيهِ دُخُولُ السَّيْمِ الْعَلِيلِ لِيَلْطِفَ
الْحَوَى . أَمَّا السُّطُوحُ فَكَانَتْ مُنْسِطَةً كَمَا هِيَ الْيَوْمَ فِي الْقَاهِرَةِ تَمَامًا

كَانَتِ ثَبُوتُ الْأَعْيَاءِ تَحْتَوِي مَوَائِدَ وَكَرَاسِيَّ مَحْفُورَةً حَقْرًا حَمِيلًا
وَمُرْخَرَقَةً . وَكَانَتِ الْحُصُرُ الْمَلُونَةُ مُعَلَّقَةً عَلَى الْحِيطَانِ وَالْأَرْضُ مَمْرُوشَةً
بِالسَّجَادِ الْفَاجِرِ . وَحَيْثُمَا نَلَقَتْ فِي الثَّبُوتِ . فِي الدَّاحِلِ أَوْ الْحَارِجِ وَحَدَّتْ
رُسُومًا زَاهِيَةً . وَهِيَ ثَبُوتُ كَثِيرَةٌ تَحِيصُهَا الْحَمَائِلُ الَّتِي نَسَدُ فِيهَا أَسْحَابُ
الْمَلَحِ وَالْتَيْنِ وَالذَّوَالِي . وَمُخْتَلِفُ أَنْوَاعِ الزَّهْرِ .

وَعَنِ الْعَكْسِ مِنْ هَذَا كَانَتِ ثَبُوتُ الْفُقَرَاءِ . فَهِيَ فِي الْعَالِ عُرْفَةٌ
وَاحِدَةٌ مُنِيَّةٌ مِنَ الْآخَرِ أَوْ الطُّوبِ الْمُحَقَّفِ فِي الشَّمْسِ . وَالَّذِي لَا لَوْنَ
لَهُ . وَلَا أَثَرَ فِيهَا لِلْمَقْرُوشَاتِ الْمُؤَخَّودَةِ فِي ثَبُوتِ الْأَعْيَاءِ . وَمِثْلُ هَذِهِ
الْثَّبُوتِ لَا يَرَى الْيَوْمَ فِي بَعْضِ الْقُرَى الْمِصْرِيَّةِ حَتَّى الْيَوْمِ

لقد مرّ معنا أن المصريين كانوا يثابرون عظيمين كما يستند على ذلك
من الأهرام والمقابر والهيكل. وعلاوة على أبواب العمارات الذين استخدموا
في إقامة هذه الصروح الضخمة. كان هؤلاء الحجارون. وصانعو الآجر.
والرسامون. والوراقون والبنّائون والمخرفون. فجمع هؤلاء استخدموا
في بناء الممارب ليستكر فيها الناس

وإنما يرى في الصور زينة على الحجار. وفي منصات من دق
من الناس يقومون بهذه الأعمال يرى صانع الآجر يصنع المواد في قوالب
خشبية ثم يشوّهها بحرارة الشمس وكانوا أحياناً يشون حائطاً بهذا الآجر
يتلغ سمكة ٢٤ متراً

كان لدى الحجارين كثير من الآلات التي تستخدمها اليوم كالأرامل
والشمار وبما يرى الحجار لمعاصر يضع راوية وضل قائمة بواسطة
الآلات. كان رمية المصري القديم يغمد أحياناً إلى الأسحار. فيلوي
أغصانها بحيث تشكل راوية قائمة. ويتركها تنمو على مدى عدة سواب
ليس هذا وحسب. بل إنهم صنعوا كرسى الذي ليس له ظهر أو
دراعين. يقطع حذاء شجرة. بعد نوحه ثلاثة أغصان نامية على الجذع
هي قوائم الكرسي الأبحاهات الصحيحة

أما صانعو المحار والرُحاح. وصانعو الذهب والفضة فكانوا حرفيين
ماهرين. وفي متاحف العالم أجمع توجد نماذج بديعة من صنيعهم وهذا
عدا الأحجار الكريمة السماقية والأرخوانية التي كانت تستعمل لعبات
زخرفية كثيرة

كَانَ مُعْظَمُ الْمِصْرِيِّينَ فَلَاحِينَ . وَكَانَتْ فِلَاحَتُهُمْ مِنْ نَوْعٍ فَرِيدٍ .
تَعْتَمِدُ - كَمَا لَا تَزَالُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا - عَلَى مِيَاهِ نَهْرِ النَّيْلِ .

إِنَّ مِصْرَ هِيَ رَقْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ طَوِيلَةٌ صَيِّقَةٌ مُسْتَدَّةٌ عَلَى مَحَرَى النَّيْلِ .
تَلَامِسُهَا شَرْقًا وَعَرَبًا صَحْرَاءُ قَاحِلَةٌ . وَلَوْلَا النَّيْلُ لَمَا وَحَدَتْ مِصْرُ . فَكُلُّ
سَنَةٍ . فِي الصَّيْفِ ، وَبَعْدَ هَظُولِ الْأَمْطَارِ الْأَسْتَنْثِيَةِ فِي أَوَاسِطِ أَفْرِيقِيَا .
يَحْمِلُ النَّيْلُ الْمِيَاهَ لِإِزْوَاجِ الْأَرْضِ الَّتِي جَفَفَهَا الطَّقْسُ الْحَارُّ

فَإِذَا مَا أَنْجَسَ الْمَطَرُ ، كَمَا كَانَ يَحْدُثُ أحيانًا ، عَمَّتِ الْمَجَاعَةُ
مِصْرَ . وَلَكِنْ حَظَرَ الْمَجَاعَةَ رَأَى الْيَوْمَ . بِفَضْلِ بَاءٍ سَدٍّ عَظِيمٍ . لِحَرْنِ الْمِيَاهِ
عِنْدَمَا تَهْطُلُ الْأَمْطَارُ غَزِيرَةً

كَانَ عَمَلُ الْفَلَّاحِ الْمِصْرِيِّ الْقَدِيمِ قَلِيلًا جِدًّا . وَهُوَ يَقْتَصِرُ عَلَى
فِلَاحَةِ الْأَرْضِ وَسَدْرِ الْحُتُوبِ ، وَأحيانًا كَانَ يَكْتَمِي بِبَذْرِ الْحُتُوبِ ذَوْنِ
فِلَاحَةٍ . نَحْنُ كَانُوا يُقَلِّتُ قُطْعَانَ الْحَازِيرِ لِتَدْوُسِ الْأَرْضِ الْمَتَدَوِّرَةِ . وَعَلَيْهِ
نَعْتَمِدُ ذَلِكَ حَمْعُ الْحِصَادِ فَحِصَادُهُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى النَّيْلِ الَّذِي يَطُوفُ
عَلَى الْأَرْضِ الْمَتَدَوِّرَةِ فَيَعْدِيهَا وَيَرْوِيهَا . وَلَا عَجَبَ إِذَا مَا جَعَلَ الْمِصْرِيُّونَ
الْقَدَمَاءُ نَهْرَ النَّيْلِ إِلَهاً مَعْدُودَهُ .

لَمْ يَكُنْ السِّلْ سَهْلَ الْمَضَرِّي الْأَرْضِ الْجُصَّةَ لِرَّاعِيهِ . بَلْ أَدَّى
لَهُ خِدْمَاتٍ كَثِيرَةً أُخْرَى . فَكَانَ الْوَسِيلَةَ الرَّئِيسَةَ لِلتَّنَقُّلِ دَاخِلَ الْقَطْرِ
بَاهِيكَ بِالْأَسْمَاكِ السَّيِّئَةِ الَّتِي كَانَتْ سَدَّ فِي حَرَمٍ كَثِيرٍ مِنْ عِدَائِهِ الْيَوْمِيِّ

وَمِنْ هَذِهِ شَأْنُ ابْتِحَاجَةِ لِسَاءِ الْقَوَارِبِ وَفِعْلًا . مِنْ أَقْدَمِ الْعُصُورِ ،
صَنَعَ الْمَضَرِّيُونَ الْكَنْوَ وَهُوَ رَوْرُقٌ طَوِيلٌ ، خَفِيفٌ ، صَبِيحٌ يَسِيرُ بِالْمَحْدَافِ .
وَيَضَعُ مِنْ تَحْوِيفِ خَدُوعِ الْأَشْجَارِ وَفِي أَنْفِ خَصْرَةٍ - صَاعِدَةِ الْقَوَارِبِ
دَوَاتِ الشَّرَاعِ الْمُثَنَّبِ ، وَالْمَحْدَافِ . وَخَاصَّةً فِي عَهْدِ رُمَيْسَ . وَفِي وَحْدَتِ
فِي قُبُورِ الْفِرَاعَةِ بِمَادِحٍ عَنْ هَذِهِ الْقَوَارِبِ . وَعَلَيْهَا الْمَحْدَقُونَ كُلُّهُمْ فِي
مَوْضِعِهِ ، وَعَنِ رَأْسِهِمْ مُدِيرُ الدَّفْعِ وَمُوحَّهٌهَا وَاقِفًا فِي مُوَحَّرَةِ السَّقِيَّةِ وَبِيَدِهِ
مِجْدَافُهُ الْكَبِيرُ .

وَمِنْ يَرُوزِ اللَّيْلِ الْيَوْمِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَى قَوَارِبَ سِتَّةِ تِلْكَ وَهِيَ فِي
حَالِ إِقْلَاعِهَا بِاتِّجَاهِ مَخْرَجِ اللَّيْلِ تَعْتَمِدُ الشَّرَاعَ . وَإِذَا سَارَتْ فِي اتِّجَاحِ
مَعَاكِسِ عَمَدِ الْمَحْدَقُونَ إِلَى التَّحْدِيفِ بِقُوَّةٍ لِلْعَبَثِ عَلَى التَّيَّارِ

كَانَ الْمَضَرِّيُونَ يَصْطَادُونَ السَّمَكَ مِنْ عَلَى قَوَارِبِهِمْ أَوْ مِنَ الشَّاطِئِ .
يَأْخُذُونَ شَكَّةً طَوِيلَةً تُنْثَى أَحَدُ طَرَفَيْهَا بِالشَّاطِئِ . ثُمَّ يَمْرُؤَانِ مِنَ الْقَارِبِ
وَهُمْ يَسِيرُونَ بِشَكْلِ بَضْفٍ دَائِرَةٍ ثُمَّ يَنْتَوِي طَرَفُهَا الْآخَرَ بِالشَّاطِئِ
أَيْضًا . وَعِنْدَمَا تُسْحَبُ الشَّبَكَةُ تُجْمَعُ الْأَسْمَاكِ الَّتِي عَلِقَتْ بِهَا . وَيُمْكِنُكَ
مُشَاهَدَةُ طَرِيقَةِ الصَّيْدِ هَذِهِ فِي مِصْرَ الْيَوْمِ .

وَصَلَتْ مِصْرَ . تَحْتَ حُكْمِ الْأُسْرَةِ النَّاسَةِ عَشْرَةَ إِلَى دَرَجَةٍ عَالِيَةٍ
مِنَ التَّمَدُّنِ ، وَأَصْبَحَ الْمِصْرِيُّونَ فِي حَاجَةٍ لِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ كَانَتْ لَا تَلِدُ مِنْ
أَسْتِيرَادِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْأُخْرَى .

فَبِى أَوَائِلِ عَهْدِ الْأُسْرَةِ . وَهِيَ تَرْتَقَى إِلَى سَبْعَةِ أَوْ ثَمَانِيَةِ آلَافِ
سَنَةٍ . اقْتَصَرَتِ التِّجَارَةُ عَلَى مَا كَانَ يَرِدُ إِلَى مِصْرَ مِنْ بِلَادِ الثُّوبَةِ عَبْرَ
الصَّخْرَاءِ . لَقَدْ عَاشَ الْمِصْرِيُّونَ أَكْثَرَ حَيَاتِهِمْ فِي مِصْرَ الْعُلْيَا ، وَكَانَتْ
مَعْرِفَتُهُمْ بِالْبَحَارِ وَالْبِلَادِ الَّتِي وَرَاءَهَا ضَبِيلَةً حِدًا .

تَوَحَّدَتْ مِصْرَ الْعُلْيَا وَمِصْرَ السُّفْلَى إِتَانًا حُكْمَ رَمْسِيسَ . وَاسْتَوَطَرَ
اِسْتَبْتُ دَلَّتَا النَّيْلِ . وَنَعَدَ إِقَامَتَهُمْ عَلَى شَوَاطِئِ الْمُتَوَسِّطِ الْفُؤَا الْبَحَارِ ،
وَشَاهَدُوا السُّفْنَ الْكَبِيرَةَ مِنْ صُنْعِ الْهِيَتِيِّينَ تَمَحُّرُ الْأَوْفِيَانُوسَ ، وَنَعَرَفُوا
إِلَى التِّجَارَةِ الْأَشِدَّاءِ مِنْ جَرِيرَةِ كَرِيثَ . نَعَدَ هَذَا . وَطَدُّوا الْعَرَمَ عَلَى بَاءِ
سُفْرِ حَاصَةِ بِهِمْ .

لَدُنَّا نَمَازِجُ عَدِيدَةٌ مِنْ هَذِهِ السُّفُنِ . نَعُصُّهَا فِي قُبُورِ الْمَلُوكِ . وَهِيَ
مَلُونَةٌ بِالْوَلَوِّ مُشْرِقَةٌ . وَتَكُونُ أَفُوسُهَا أَحْيَاءًا مُرَحَّرَةً سَكَلِ رَحْمَةِ
السُّلُوفِ . وَشَرَاغِهَا مُفَرَّدٌ كَبِيرٌ يَنْقُطُ سِمَ الصَّخْرَاءِ مِنْهَا كَذِ حَمَمٍ
وَعِنْدَمَا لَا تَكُونُ رِيحٌ مُوَاتِيَةٌ يَعْمَدُونَ بِهَا لِتَجْدِيدِهَا الَّذِي يَقُومُ بِهِ عِيْدُ
أَكْثَرُهُمْ أَسْرَى حَرْبٍ . كَانَتْ هَذِهِ السُّفُنُ مَتَبَّةَ الصُّنْعِ تُؤَدِّي وَطَبَقَةَ
الْإِبْحَارِ فِي النَّيْلِ ذَهَابًا وَإِيَابًا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ .

أما عند وفاة أحد المزارعة . أو أحد رُعي في ساحة شرب .
فكان لا بد من ممارسة طقوس عدة . وقد تمكنا من معرفة هذه الطقوس
والعادات بفضل الرسوم الدقيقة الصنع التي وجدت على حدران القبور .
وهي تثلّ مشاهد عن النشاطات اليومية التي كان يمارسها
الشعب

كانت حنة فرعون تدف بأقمشة من القطن وتوضع في صندوق
حشوي خمر عليه شكل الحنة ذاتها . ويغص هذه الصناديق مؤخوذ في
تسحف الريطاني وفي مذبح مضر . وهي مبنية بألوان مشرقة . وقد
خمر الوحة بعنبر فاخرة . ووحدت بغص هذه الصناديق معلقة بعلاف
رفيق من الذهب لحالض

كان هذا الصندوق مخفور يوضع ضمن صندوق آخر مخفور مثله
تماما . وهذا ضمن صندوق ثالث . وكان الرُعيان خلال هذه العملية
يقرأون من كتب مقدسة . وقد تستغرق عملية حفظ حنة فرعون ووضعها
في قفّره مدة تصل إلى سبعين يوما

وأخيرا يوضع الصندوق الأكبر على مرلحة يجرها عدد من الأبقار
وكاسوا في كثير من الأحيان يقرّون فيه الليل محملا على عرب حصى .
وبدقونه في هرة أو قفّر منحوت في الصخر . ثم يحتضن منحل
القفّ

هناك في مضر وادي صخري كالح . نخلو من الأشجار والعشب
الأخضر . على جانبيه منحدرات صخرية شاهقة ، وكتل هائلة من
الصخور ملقاة على الأرض الرملية . إنه وادي القور .

في تلك الصخور . على كلا جانبي الوادي ، توجد قبور الهراة
وكبار الرثمين . وقد حُفرت في الصخور بواسطة عمال على ضوء
باهت صادر من قاذيل زيت وزعم هذا . كانت حدران القور منقوشة
ومرئية عمارة فائقة

كانت تلك القور تحتوي أشياء ثمينة . ولذا كانت عرضة للسرقة ،
وأحياناً ينهبها من حفرها . كان الخوذ يخرسون مداحل الوادي الصيقة .
وقد نلج بالمصريين احذر حد جمعهم يتقلون . خفية ، جثة الفرعون من
قبر إلى آخر كي يخطوا محاولات اللصوص .

ومن النادر جداً أن يجد قبرا لم يسرق ولكن في عام ١٩٢٢ اكتشف
قبر لم يصل إليه اللصوص . وحدث فيه جميع الكور والآثار التي تعود
إلى ثلاثة آلاف سنة . إنه قبر ثوت عنح آمون . وقد نشر كتاب حاصر
يحتوي معلومات وضوءاً عن مئات من التحف التي اختواها ذلك
القبر .

اكتشف قبر توت عنخ آمون عرصاً . كان مدخله تحت مدخل
قبر فرعون آخر . وعند محاولة سرقة هذا الأخير أراح المصوص قطع
الحجارة لمكسره والتراب من مدخله . فغطوا بها مدخل قبر توت عنخ
آمون كئيباً

كان اكتشافه في شهر تشرين الثاني عام ١٩٢٢ . أي بعد مرور
ثلاثة آلاف ومئتين وخمسين سنة على دفنه دون أن يبطاً قبره إنسان
وجميع الكور - تقريباً - التي دفنت مع فرعون وحدث سلبية . لم
تمسها يد

كان المصريون يعتقدون أن الإنسان عندما يموت . ينتقل إلى عالم
آخر . ويعيش حياة كالتي كان يحياها على الأرض تماماً . لذلك وضع
في قبره كل ما يمكن أن يحتاج إليه . وهذا كان القبر لفرعون يك
بالطبع مزيناً بأثمن الحلي . ويكون الأثاث الملوكي مرصعاً بالذهب
والحجارة الكريمة ، وتكون الأواني الأخرى كالطاسات وأقداح الشراب
دات تصميم بديع جداً ومن الذهب الخالص .

وتوجد كور قبر توت عنخ آمون في منحبر في القاهرة وهي تعطي
فكرة رائعة عن حياة المصريين قبل ثلاثة آلاف سنة . ويري في الصفحة
المقابلة رسوماً لبعض هذه الكور . إذ من المستحيل نشرها كلها . وهذا
ما تملنا هذه الرسوم نقف حائرين عندما نتذكر كيف كانت الحياة في
أوروبا عندما كانت تُصنع هذه الأشياء

تدبُّ جميعُ الرؤوسِ الرُّبُوبَةِ على حذرٍ من المقابرِ . ومملقاتِ بردي
المُرَحَرَّةِ والأثاثِ . على أنَّ المَصْرِيَّين القدماء كانوا قنابين ماهرين

كان قنابٌ د طبعٍ حاصرٍ . وقد نذروا لنا اليوم عريَّةً ولكنَّه على
كُلِّ حالٍ من رَحْرَاقٍ نديٍّ كما نراه في سح طوق الأضل مأخوذة عن
صورِ رُبُوبَةٍ كثيرةٍ إذا نظرنا مثلاً إلى صفتٍ من لعبد أو الخبوة . ثم
يشبه بعضهم بعضاً تماماً . ويقف الواحدُ خلف الآخر . أمَّا وجوههم
فحاشيةٌ . مع أنَّ أحسامهم أعمامةٌ . وعندهم كثرةٌ من أخيه بين
الأقارب . وسقفٌ دندنة حاشيةٌ ومن جهةٍ بد حنة . وربما كان ذلك
تحت لُرسٍ أصابع القدم

كان المَصْرِيُّونَ عندما يَنحَنُونَ تمثالاً أو يَخْفَرُونَ صورةً وخيه
لِناوُوسٍ (تَابُوتٍ حَخْرِيٍّ يَحْتَوِي جَنَّةً مَحْنَطَةً) يَدْعُونَ في حَقِّه
فَيُظْهِرُ كَأَنَّ الحَيَاةَ تَدْبُ فيه . ولا يَنْقُصُهُ إِلَّا النُّطْقُ .

ومن أحسن تماثيل مَحْنَطَةٍ هذه . رأسٌ من سلكه مرسى
من حجر . ومما كانه واحدٌ حتى . ويعبد فيه صفة هذه .
رأسٌ مرسى على قناب في وسع حاشية المَصْرِيَّين تبيد قصبة .
ثم أَرَدُو دنت

كان السَّائِرُونَ الْمُضَرِّيُونَ قَادِرِينَ عَلَى السَّيِّئِ طَبَقَ قِيَاسَاتٍ دَقِيقَةٍ حَدًّا
كَمَا هِيَ الْحَالُ فِي هَرَمِ حُوفُو الْكَبِيرِ ذَلِكَ أَنَّهُمْ تَهَيَّأُوا الْحِسَابَ
وَالْمُهَنْدَسَةَ - وَلَوْ بِصُورَةٍ بَدَائِيَّةٍ . وَفِي الْمَتْخَفِ الْمَرْبُطَانِي مَلَفٌ مِنْهُمْ حَدًّا .
يَحْتَوِي عَدَدًا مِنَ الْمَسَائِلِ الْحِسَابِيَّةِ . وَأَكْثَرُهَا عَمَلِيَّةٌ حَدًّا كَيْفَ تَحْدُ
مِسَاحَةً حَقْلًا ؟ مَا هِيَ كَمِّيَّةٌ بِحُجُوبٍ أَنِّي نَسَوْتُهَا أَهْرَاءُ نَسْجُلِ حَلْبَةِ
نَحْلٍ ؟ كَمَا يَظْهَرُ فِي الرَّسْمِ الْمُقَابِلِ .

كَانَ نَاسِطُوعَةُ الْمُضَرِّيِينَ . إِذَا مَرَضُوا . اسْتَدْعَاهُ الطَّبِيبَ . كَمَا
الْعِلَاحُ الَّذِي يَصِفُهُ الطَّبِيبُ مِثْلَهُ مِنْ تَعْوِيذَةٍ . وَنَهَانِ بِلَآئِهِ مَعَ مَرِيحٍ
مِنَ الْحَشَائِشِ . لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُمُ الْعَقَاقِيرُ وَالْأَدْوِيَّةُ الَّتِي نَعْرِفُهَا الْيَوْمَ وَلَكِنْ
كَانَ عِنْدَهُمْ حَرَاحُونَ مَاهِرُونَ .

وَقَدْ دَرَسَ الْمُضَرِّيُونَ السُّخُومَ فَسَدَ آلَافُ الْمَنَسِينَ تَوَضَّعُوا إِلَى وَضْعِ
تَقْوِيمٍ (زَوْرَمَةٍ) هُوَ أَسَاسُ التَّقْوِيمِ الَّذِي نَعْمُدُهُ الْيَوْمَ وَلَا نَعَالِي
إِذَا قُنَا إِلَى تَقْوِيمِهِمْ . فِي نَعْصِ لِنَوَاحِي . بِهَوَاقِ تَقْوِيمِنَا . إِذْ هِيَ عَدَدُ
أَيَّامِ شَهْرِ السَّنَةِ مَتَسَوِّيًا

كَتَبَتِ الْحَيَاةُ فِي مَضَرِّ الْقَدِيمَةِ مَمْتَعَةً كَانُوا يَنْعَمُونَ تُشْطَرِّحُ
وَكَذَلِكَ الْكُرَّةُ بِطَرَقٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَكَانَ الْأَوْلَادُ يَسْتَمْتِعُونَ بِحِكَايَاتِ الْحَيَاةِ .
وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُمْ حَكِيمَتَيْنِ هُمَا سِنْدَرِيلَا . وَلَارَعِينَ حَرَمِي

عِنْدَمَا تَتَكَلَّمُ عَنْ مِصْرَ الْقَدِيمَةِ . يُفَكِّرُ أَكْثَرُ النَّاسِ بِكَلِيبَاتَرَا ؛
لأنَّ كَثِيرًا مِنَ الْقِصَصِ وَالرِّوَايَاتِ كُتِبَتْ عَنْهَا . وَمِنْهَا رِوَايَةُ لِشَكْسِيرِ
فِي الْوَاقِعِ . لَا تَسْمِي كَلِيبَاتَرَا إِلَى مِصْرَ الْقَدِيمَةِ إِطْلَاقًا . فَهِيَ قَدْ
وُلِدَتْ فِي سَنَةِ ٦٨ ق م أَيَّ بِمَا يَقْرَبُ مِنَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِئَةِ سَنَةٍ نَعْدُ عَهْدَ
رَمْسِيسَ الَّذِي مَرَّ بِنَا وَصَفَّهُ .

فِي كِتَابٍ آخَرَ مِنْ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقْرَأَ عَنِ الْإِسْكَندَرِ
الْأَكْبَرِ الْمَقْدُونِيِّ . وَبَعْدَ إِنْصِرَافِهِ عَلَى مِصْرَ . سَنَةِ ٣٣٢ ق م . أَصْبَحَ
أَحَدَ قُوَّادِهِ . وَأَسَمَّاهُ بِطَلِيمُوسَ حَاكِمًا عَلَيْهَا . وَأَسَّسَ هَذَا الْحَاكِمُ أَسْرَةَ
حَدِيدَةٍ . وَكَانَتْ كَلِيبَاتَرَا آخِرَ الْمُتَحَدِّثِينَ مِنْ تِلْكَ الْأَسْرَةِ . وَتَوَلَّتْ
الْحُكْمَ عَلَى مِصْرَ .

أَصْبَحَتْ كَلِيبَاتَرَا مَلِكَةً مِصْرَ وَهِيَ نَعْدُ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمْرِهَا
وَقَدْ شَارَكَهَا أَخُوهَا فِي الْحُكْمِ . وَلَمْ يَكُنْ مِنْ السَّهْلِ عَلَى صَبِيَّةٍ صَغِيرَةٍ
حُكْمَ الْبِلَادِ . وَهَكَذَا طُرِدَتْ مِنْ مِصْرَ . فَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ سُورِيَّةٍ لِجَمْعِ
جَيْشٍ وَاسْتِعَاذَةِ عَرْشِهَا . وَقَدْ سَاعَدَهَا عَلَى ذَلِكَ يُولُيُوسُ قَيْصَرُ الَّذِي
قَدِمَ مِصْرَ مَعَ كَتِيبَةٍ مِنَ الْخُيُودِ الرُّومَانِ . وَقَدْ غَيَّرَ التَّقَاءُ الْقَيْصَرَ كَلِيبَاتَرَا
وَحَافَ التَّارِيخُ . فَقَدْ نَحَبَتْ عَنِ الْعَرْشِ لِتَرْجِعَ عَلَيْهِ أَخُوهَا الْأَضْعَفُ
وَلَكِنَّهُ مَاتَ مَسْتَوْفًا . وَأَصْبَحَتْ هِيَ مَلِكَةً مِصْرَ ذَوْنَ مَنَارِعَ .



عِنْدَمَا اغْتِيلَ يُولْيُوسُ قَيْصَرُ كَانَتْ كِلْيُوبَاتَرَا تَزُورُ رُومَا . وَلَمْ
يَكُنِ الشَّعْبُ الرُّومَانِيُّ يُحِبُّهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَجْنَبِيَّةً . فَعَادَتْ إِلَى مِصْرَ
وَعَاشَتْ هُنَاكَ كَمَا كَانَ الْفَرَاعِيَّةُ يَعِيشُونَ قَبْلَهَا بِأَبْهَةِ عَظِيمَةٍ .

بَعْدَ اغْتِيَالِ يُولْيُوسَ قَيْصَرَ خَلَفَهُ أُوَكْتَاڤْيُوسُ . وَعِنْدَمَا تَخَاصَمَ
أُوَكْتَاڤْيُوسُ مَعَ مَارِكِ أَنْتُونِي صَدِيقِ الْقَيْصَرِ . لَجَأَ الْأَخِيرُ إِلَى مِصْرَ .
فَأَعْلَنَ أُوَكْتَاڤْيُوسُ الْحَرْبَ عَلَيْهَا . وَلَحِقَ بِمَارِكِ أَنْتُونِي عَلَى رَأْسِ أُسْطُولٍ
عَظِيمٍ . مُصَيِّمًا عَلَى الْقَضَاءِ عَلَى عَدُوِّهِ .

كَانَ لَدَى مَارِكِ أَنْتُونِي أَيْضًا عَدَدٌ مِنَ السُّفُنِ ، وَلَمَّا انْضَمَّ إِلَيْهَا
الْأُسْطُولُ الْمِصْرِيُّ ، أَصْبَحَ أُسْطُولُهُ أَكْبَرَ مِنْ أُسْطُولِ أُوَكْتَاڤْيُوسِ . فَابْهَرَ
لِمُلَاقَاتِهِ وَاتِّقَا مِنْ الْإِثْتِصَارِ .

كَانَ مَارِكِ أَنْتُونِي جُنْدِيًّا أَقْدَرَ مِنْ أُوَكْتَاڤْيُوسِ . وَلَوْ حَارَبَهُ بَرًّا لَكَانَ
عَلَى الْأَرْجَحِ تَغْلِبَ عَلَيْهِ . وَلَكِنْ عَوَظًا عَنْ ذَلِكَ ، لَاقَاهُ بَحْرًا ، وَدُونَ
رَوِيَّةٍ . بِالْقُرْبِ مِنْ أَكْثِيمٍ عَلَى شَاطِئِ الْيُونَانِ الْغَرْبِيَّةِ . وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ
التَّغْلِبُ عَلَيْهِ . لَوْ لَا أَنَّ كِلْيُوبَاتَرَا - الَّتِي كَانَتْ تُرَاقِبُ الْمَعْرَكَةَ مِنْ سَفِينَتِهَا -
أَبْهَرَتْ فَجْأَةً إِلَى مِصْرَ . فَلَحِقَ بِهَا أُسْطُولُهَا . وَانْهَزَمَ أَنْتُونِي وَعَادَ إِلَى مِصْرَ
مَعَ كِلْيُوبَاتَرَا .

وَتَبَعَ أُوكْتَا فَيُوسُ أَتْثُونِي مُصْعِمًا عَلَى قَتْلِهِ وَعَلَى اخْتِلَالِ مِصْرَ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ بِاسْتِطَاعَةِ أَتْثُونِي التَّغْلِبُ عَلَى خَصْمِهِ ، لَوْلَا أَنَّ جَيْشَهُ فَقَدَ يَقْتَهُ بِهِ عَلَى أَثَرِ هُرُوبِهِ مِنْ مَعْرَكَةِ أُكْتِيُوه .

أَمَّا أَتْثُونِي ، فَقَدْ انْتَحَرَ ، بَعْدَ أَنْ رَأَى قَضِيَّتَهُ خَاسِرَةً ، ثُمَّ تَحَرَّكَ أُوكْتَا فَيُوسُ نَحْوَ الإسْكَندَرِيَّةِ . حَيْثُ التَّقَى كَلْيُوبَاتَرَا ، وَهِيَ لَا تَرَالُ شَابَةً جَمِيلَةً ، تَنْعَمُ بِجَمِيعِ أَسْبَابِ التَّرَفِ فِي الْبَلَاطِ الْمِصْرِيِّ .

كَانَتْ كَلْيُوبَاتَرَا امْرَأَةً فَاتِنَةً جَدًّا وَحَادَّةً الذِّكَا . وَقَدْ تَمَكَّنَتْ مِنْ إِقْنَاعِ يُولْيُوسَ قَيْصَرَ وَمَارِكِ أَتْثُونِي بِأَنْ يُحَارِبَا لِمَصْلَحَتِهَا . وَلَكِنَّ الْوَضْعَ تَغَيَّرَ مَعَ أُوكْتَا فَيُوسَ ، وَعِنْدَمَا شَعَرَتْ أَنَّ فِي نَيْتِهِ اخْتِذَاهَا أُسِيرَةً إِلَى رُومَا انْتَحَرَتْ . وَتَقُولُ الْأُسْطُورَةُ إِنَّهَا عَرَّضَتْ نَفْسَهَا لِتَلَدِّغِهَا أَقْعَى ، أَخْضَرَتْ لَهَا فِي سَلَّةٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ .

لَقَدْ دَامَتْ مَدِينَةُ مِصْرَ الْعَظِيمَةُ خَمْسَةَ آلَافِ سَنَةٍ ، وَقَبْلَ عَثَا : « إِنَّهَا أَضَاءَتْ مِشْعَلُ الْمَدِينَةِ فِي غُصُورِ غَارِقَةٍ فِي الْقَدَمِ ، يَضْعَبُ تَصَوُّرُهَا ، ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْهَا ذَلِكَ الْمِشْعَلُ إِلَى الْغَرْبِ » . نَذَكَّرُ إِذَا ، عِنْدَمَا تَرَى تَقْوِيمًا ، أَنَّهُ وَلِيدُ فِكْرٍ عَالِمٍ مِصْرِيٍّ ، عَاشَ مِنْذُ آلَافِ السِّنِينَ .

دزهر النيل مصر



أم درمان

أخروطوم

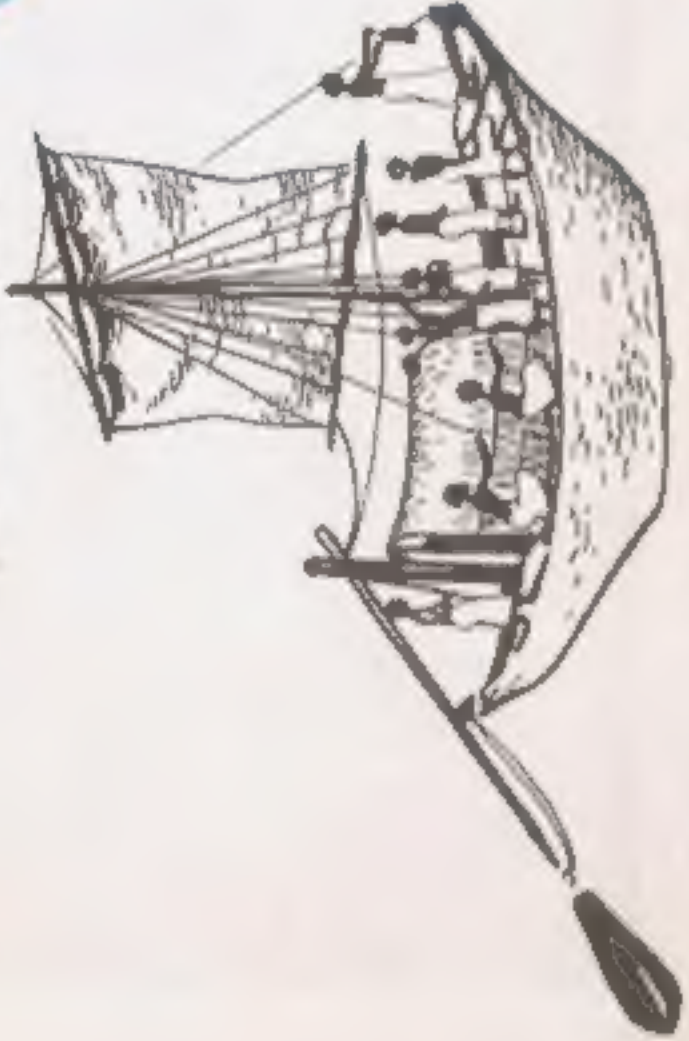


من الشوبية

النيل الأزرق

محافظة الأقصر

نموذج مركب مصري قديم



أبو الهول والأهرام

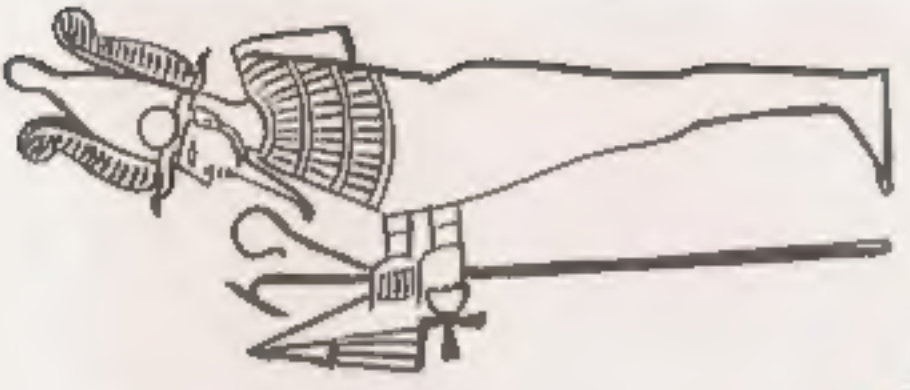


من ليبيا

صفيقيس

القاهرة

من سوريا
السويين
بنات النوب



أوزيريس

أسوان

الكنتك
الأقصى

طيوة

أبوسنبيل

وادي حلفا

البحر المتوسط

السلسلة التاريخية

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| (١) جان دارك | (٦) تشارلز ديكنز |
| (٢) ماركوبولو | (٧) كريستوفر كولومبس |
| (٣) الكابتن سكوت | (٨) الإسكندر الأكبر |
| (٤) نابليون | (٩) الحفريات الكبرى : مصر |
| (٥) كليوباترا ومصر القديمة | |

Series 561 / Arabic

يوجد الآن أكثر من ١٥٠ كتاباً في سلسلة ليديرد باللغة العربية
تشمل عدداً من المواضيع يناسب مختلف الأعمار . اطلب البيان
الخاص بها من مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح ، بيروت